تفسير سورةُ النور
من آية (1) إلى آية (3)
اللقاء الأول

مقدمات السورة

أسماء السورة: سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (النُّورِ)، مما يدُلُّ على ذلك: عن أبي إسحاقَ الشَّيْبانيِّ، قال: ((سألتُ عبدَ اللهِ بنَ أبي أَوفَى: هل رَجَمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؟ قال: نعَمْ. قال: قلتُ: بعدَما أُنزِلَت سورةُ «النُّورِ» أمْ قبْلَها؟ قال: لا أدري)) ...

سورة النور، السورة الرابعة والعشرون في ترتيب المصحف الشريف، وآياتها أربع وستون آية.

بيان المكي والمدني:

سورةُ النُّورِ مَدَنيَّةٌ، ونقلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفَسِّرينَ.

مقاصد السورة:

ذِكرُ أحكامِ العفافِ والسترِ.

موضوعات السورة:

مِن أبرزِ الموضوعاتِ الَّتي تناولَتْها سورةُ النُّورِ:

1- تقريرُ وُجوبِ الانقيادِ لِما أُنزِلَ في هذه السورةِ مِن أحكامٍ وآدابٍ.

2- بيانُ حَدِّ الزِّنا.

3- بيانُ عُقوبةِ قاذِفِي المحصَناتِ.

4- حُكمُ قَذفِ الزَّوجاتِ، وتَشريعُ اللِّعانِ.

5- ذِكرُ قِصَّةِ الإفكِ.

6- ذِكرُ آدابِ الاستِئذانِ، ووجوبِ غَضِّ البَصَرِ وحِفظِ الفُروجِ.

7- نَهيُ النِّساءِ عن إبداءِ زينتِهنَّ إلَّا لِمَن استَثناهم اللهُ تعالى.

8- الأمرُ بإنكاحِ الأيامَى مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ.

9- الحديثُ عن مظاهِرِ قُدرةِ اللهِ تعالى في هذا الكَونِ.

10- ذَمُّ أحوالِ أهلِ النِّفاقِ، والإشارةُ إلى سوءِ طَوِيَّتِهم.

11- وَعدُ اللهِ تعالى للمُؤمِنينَ بالاستِخلافِ في الأرضِ، والتَّمكينِ للدِّينِ، والأمنِ بعدَ الخَوفِ.

12- بيانُ صِفاتِ المؤمِنينَ الصَّادِقينَ.

فضائلها وما ورد عنها من الأثر:

عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، حِينَ قالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ ما قالوا، وَكُلٌّ حدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الحَدِيثِ، قالَتْ: فَاضْطَجَعْتُ علَى فِرَاشِي وأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وأَنَّ اللَّهَ يُبَرِّئُنِي، ولَكِنِّي واللَّهِ ما كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِي شَأْنِي وحْيًا يُتْلَى، ولَشَأْنِي فِي نَفْسِي كانَ أَحْقَرَ مِن أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بأَمْرٍ يُتْلَى، وأَنْزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: {إنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ} العَشْرَ الآيَاتِ كُلَّهَا.

وفي "تفسير القرطبي" أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة: علموا نسائكم سورة النور.

سبب تسمية سورة النور بهذا الاسم؟

وسميت بسورة (النور)؛ لقوله تعالى فيها: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [النور:35].

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أنار ما بين المشرق والمغرب، بإنزال الكتب وإرسال الرسل، أنار القلوب والأرواح بدينه وشرعه، فظهرت آثار هذا النور في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة، وهي آداب وأخلاق نفسية وعائلية وفردية وجماعية، تنير القلب، وتنير الحياة.

قال ابن عثيمين: سُمِّيتْ سُورةُ النورِ بهذا الاسمِ؛ لقولِه تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [النور: 35]، وإذا تأمَّلتَ السُّورةَ وَجدتَ ذِكْرَ النورِ فيها، وأنَّ اللهَ نورُ السمواتِ والأرضِ، وقولَه: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ [النور: 40]؛ تَبَيَّنَ لك أنَّ العِفَّةَ مِن أسبابِ نورِ القَلبِ، وأنَّ ضِدَّها -وهو الفُجورُ- مِن أسبابِ ظُلمةِ القَلبِ؛ ولذلك فإنَّ الزِّنا -سواءٌ كان بالعَينِ، أو بالرِّجلِ، أو باليَدِ، أو باللِّسانِ، أو بالفرْجِ- تأثيرُه على القَلبِ وعلى نُورِ القلبِ أعظَمُ مِن غيرِه، وتأثيرُ العِفَّةِ في نُورِ القلبِ أبلغُ. الدرر السنية

فرض الله الأخلاق كما فرض أركان الايمان وأركان الإسلام، والحدود، كلمة فرضناها تدل على مدى عمق هذا الأصل وأصالته في ديننا، وليس كما يعتقد البعض أن الأخلاق أمر اختياري، يصلي ويصوم ويحج، ثم يعتدي على الناس بالأقوال والأعمال، يعبس، يكذب، يحقد ...الى آخره من الأخلاق الذميمة.

كل كارثة اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها من جوانب الحياة على مستوى أفراد أو جماعات، وراءها انهيار أخلاقي، لذلك حرص الإسلام على وضع أساس قوي متين من الاخلاق، يحمي كل من أوى اليه، من كل ما يؤلم أو يوجع، بل وضع سياج يحيط ويحمي الضرورات الخمس (الدين والنفس والعقل والعرض والمال)، ليعيش المسلم في هذه الدنيا يعمل لدنياه وآخرته آمنا مطمئنا من عبث العابثين، ولهو اللاهين، ودناءة المستهترين.

والمحور الرئيسي الذي تدور عليه السورة كلها هو: محور التربية.

الرب المربي يربي عباده، ويعتني بهم ليصلحهم، ويخرجهم من النقص الى الكمال.

الام تربي أطفالها وتعتني بهم لتصلحهم، فتستخدم الترغيب والترهيب، تكافئ المحسن وتعاقب المسيء، ماذا تريد الأم من العقاب هل تريد أن تؤلم طفلها أم تريد أن تطهره من الخلق الذميم وتحليه

بالخلق الرفيع؟ ⇦لا شك أنها تريد الخير لفلذة كبدها، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى "مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ".

عندما نسمع مئة جلدة، ورجم حتى الموت، لا تتحرك المشاعر بشكل سلبي اتجاه الأحكام الشرعية ،بل نفكر بعقولنا، لو تركنا الجاني بدون عقاب كيف يكون الحال، كما لو تركت الأم الابن الأول بدون تربية وتأديب، فالأول كافي أن يفسد تربية من يأتي بعده، وهذا الحال لمن ترك بدون عقاب، يطمع غيره ممن يملك نفسه الضعيفة ويقع بمثل ما وقع به نظيره، إلى أن تتلوث المجتمعات فتصبح بيئة ملوثة بدخان أسود، إما يلطخ ملابسك بالسواد، وإما يصيبك ب رائحته الكريهة فيضيق صدرك، الدين الاسلامي يريد مجتمع نظيف، آمن صحي ،لا تضطرب فيه القلوب والأرواح ، بل يحارب الكلمة التي تؤذي المشاعر، يتكلم بكلمة لا يلقي لها بالاً فتلقيه في النار، ويتكلم بكلمة من رضوان الله فيرفعه بها درجات ،يرغبنا في الجميل ويبغض لنا القبيح.

فهو سبحانه في هذه السورة يربي الضمائر، ويرفع المقاييس الأخلاقية للحياة، بنور أشرقت به الظلمات والقلوب والضمائر، والنفوس والأرواح، قال تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) [النساء: 174].

ويجري سياق السورة حول محورها الأصيل في خمسة محاور:

المحور الأول: إعلان قوي حاسم عن تقرير هذه السورة وفرضها بكل ما فيها من حدود وتكاليف، ومن آداب وأخلاق: سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

⇦ويليه حد الزنا، وتفظيع هذه الفعلة، وتقطيع ما بين الزناة والجماعة المسلمة، فلا هي منهم ولا هم منها.

⇦ثم بيان حد القذف وعلة التشديد فيه; واستثناء الأزواج من هذا الحد مع التفريق بين الزوجين بالملاعنة.

⇦ثم حديث الإفك وقصته....

وينتهي هذا المحور بتقرير مشاكلة الخبيثين للخبيثات، ومشاكلة الطيبين للطيبات، وبالعلاقة التي تربط بين هؤلاء وهؤلاء.

ويتناول المحور الثاني: وسائل الوقاية من الجريمة، وتجنيب النفوس أسباب الإغراء والغواية.

⇦فيبدأ بآداب البيوت والاستئذان على أهلها، والأمر بغض البصر والنهي عن إبداء الزينة للأجانب، والحض على إنكاح الأيامى، والتحذير من دفع الفتيات إلى البغاء...

والمحور الثالث يتوسط مجموعة الآداب التي تتضمنها السورة، فيربطها بنور الله، الله يحب النور والشيطان لعنه الله لا يحب النور أبداً، ويبين الله أنه يرسل بالنور في السماوات والأرض كي يضيق على الشيطان واتباعه أهل الفجور والظلمات فيضرب لنا مثلا لما يرسله من النور.

⇦ويتحدث عن أطهر البيوت بيوت الله... التي يعمرها أطهر الناس أنار الله قلوبهم بالتقوى، وفي الجانب المقابل الذين كفروا وأعمالهم كسراب من اللمعان الكاذب; أو كظلمات بعضها فوق بعض.

⇦ثم يخبرنا سبحانه عن تسبيح الخلائق وخضوعها لآمره، وفي إزجاء السحاب، وفي تقليب الليل والنهار، وفي خلق كل دابة من ماء، ثم اختلاف أشكالها ووظائفها وهذا الكتاب المنظور آيات كونية تخاطبنا وتقول خضع من لا يعقل لآمره وحكمه فكيف بمن يعقل أليس هو أولى بهذا الشرف.

❍والمحور الرابع: يتحدث عن مجافاة المنافقين للأدب الواجب مع رسول الله -ﷺ-في الطاعة والتحاكم.

⇦ويصف أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم، ويعدهم على هذا، الاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين، والنصر على الكافرين.

❍ثم يعود المحور الخامس: إلى آداب الاستئذان والضيافة في محيط البيوت بين الأقارب والأصدقاء، وإلى آداب الجماعة المسلمة كلها كأسرة واحدة، مع رئيسها ومربيها -ﷺ-.

✋وتختم السورة بإعلان ملكية الله لما في السماوات والأرض، وعلمه بواقع الناس، وما تنطوي عليه حناياهم، ورجعتهم إليه، وحسابهم على ما يعلمه من أمرهم وهو بكل شيء عليم.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿1﴾

(سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا) أي: هذه سُورةٌ أَنزَلْناها وبَيَّنَّا ما فيها مِن الواجباتِ والنَّواهي، وقدَّرْنا ما فيها مِن الحُدودِ والحُقوقِ، وأَوجَبْنا الإيمانَ بها وبما تضمَّنَتْه، والعملَ بما فيها. موسوعة التفسير

✉السورة: مجموعة من الآيات لها فاتحة وخاتمة.

⇦ما هو السبب في تسمية مجموعة آيات القرآن سورة؟

❍قيل: لشرفها ومنزلتها وفضلها على غيرها من الكلام، إذ هي كلام الله.

❍وقيل: سميت لِشَرَفِهَا وَارْتِفَاعِهَا، كَمَا يُقَالُ لِمَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ سُورٌ.

❍وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ قَارِئَهَا يشرف على ما لم يكن عنده، وقارئ سور القرآن ينزل بتلاوته منازل الشرف والكرامة، وينتقل بتلاوته سور القرآن من منزلة إلى منزلة، ويقال له يوم القيامة: (اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا) "صحيح أبي داود".

ورُوِيَ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ أَنَّهَا قَالَتْ: "سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَمَّنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِمَّنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ: مَا فَضْلُهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَقْرَأْهُ؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ عَدَدَ دَرَجِ الْجَنَّةِ بِعَدَدِ آيِ الْقُرْآنِ، فَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِمَّنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ".

❍سورة "النور" لم يبتدئ العظيم في القرآن العظيم سواها بتعظيم، اختصها من بين كل القرآن أن افتتحها بالثناء عليها فقال:(سُورَةٌ) والسورة في اللغة: هي الأمر المنيف المرتفع عما حوله، وكذلك هي من بين سور القرآن، فهي سورة الطُهر والعفة والفضيلة، ترفع المؤمنين والمؤمنات عن التلطخ بأوحال

الرذائل وتغسل قلوبهم غسلاً فما تُبقي فيها دنساً، فتسموا بهم فيكونوا نورا يمشي بين الناس، قلوب وجوارح وألسنة يشع منها نور الإيمان.

من المعلوم أن الله أنزل جميع سور القرآن، فلم خص هذه السورة بقوله: (أَنْزَلْنَاهَا)؟

قال الشنقيطي: في قَولِه تعالى: أَنْزَلْنَاهَا بَيَّنَ تعالى أنَّه هو الذي أَنزلها، مُعَبِّرًا عن نفْسِه بصيغةِ الجَمعِ التي تدُلُّ على عَظَمتِه تعالى، وذلك يتضمَّنُ عَظَمةَ هذه السورةِ؛ ويدلُّ على وجوبِ امتِثالِ أوامرِها، وما فيها مِن حدودٍ وأحكامٍ وآدابٍ".

(وَفَرَضْنَاهَا) أي: ألزمنا خلقنا بما فيها من الأحكام من الحدود واللعان، والآداب الاجتماعية كالاستئذان والتوبة وغير ذلك من العجائب والغرائب التي اشتملت عليها السورة ففرضية الآداب والأخلاق فيها كفرضية الحدود والعقوبات. سليمان اللهيميد

(وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) أي: وأنزَلْنا في هذِه السُّورةِ علاماتٍ، ودَلالاتٍ واضحاتٍ تُبيِّنُ الحَقَّ لِمَن تَدَبَّرها. موسوعة التفسير

بَيِّنَاتٍ واضحات محكمات لا لبس فيها، واضحة الدلالة على مدلولها، فيشمل ذلك الآيات القرآنية الدالة على الأحكام، حد الزنى، والقذف، وحكم اللعان...، والآيات الكونية تأليف السحاب وإنزال المطر، وتقليب الليل والنهار... آيات وعبر لمن له بصيرة وفَهْم، كما رضينا به رباً مدبراً للكون ينزل المطر، ويقلب الليل والنهار، يجب أن نرضى به ربا مشرعاً للأحكام، التي تقوم اعوجاج البشر، لا بديل لها ولا نظير "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ".

(لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أي: وذلك لكي تَتذكَّروا بهذه الآياتِ وتَتَّعظوا، وتَعملُوا بها. موسوعة التفسير

لعل للتعليل، أي لأجل أن تذكروا وتتعظوا.

والتذكر: الاتعاظ وهو لين القلوب بالأمر والنهي، المقرون بالرغبة والرهبة، وبيان الرشد من الغي، فتستقيم القلوب، والالسنة، والجوارح، بنور القران، وتهتدي به إلى الصراط المستقيم.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿2﴾

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ) أي: مَن زَنَى مِن النِّساءِ أو الرِّجالِ -إذا كانا حُرَّين، مكلَّفين، بِكرَين، غيرَ مُحصَنَين- فاجْلِدوا كلَّ واحدٍ مِنهما مِئةَ جَلدةٍ؛ عُقوبةً لهما. موسوعة التفسير

لماذا قدم الله الزانية على الزاني في الذكر؟

قيل: لأن الزنا إنما يبتدئ عادة من المرأة، لأن الرجل قد لا يجترئ عادة على المرأة المحجبة المحتشمة، التي لا تتكلم بكلام مائع مع الرجال، فإن كانت تظهر زينتها وجسمها وتتبرج وتضاحك الرجال وتزين

القول، فعند ذلك يجترئ الرجال عليها، جاءت هند بنت عتبة لتبايع النبي -ﷺ-، (فلما قال رسول الله -ﷺ-: ولا يزنين. قالت: أو تزني الحرة؟، لقد كنا نستحي من ذلك في الجاهلية: فكيف في الإسلام؟).

❁وقيل: إن الزنا في حق المرأة أشنع والتبعة عليها أفظع، لما يترتب عليه من الحمل والولادة والفضيحة والعار عليها وعلى عشيرتها كما هو معلوم، وهذا تعليل واضح.

❍إن العفة لن يحميها من لُعاب الوالغين فيها بفروجهم أو بألسنتهم إلا حزم خازم وتنكيل بالغ في الدنيا قبل الأخرى.

❍لذلك كان المطلع قوي صريح جازم ببيان حد الزنا; وتفظيع هذه الفعلة، لم تبدأ بفضل العفاف وذكر محاسنه والتنفير من ضده، بل ولم تخوف الزاني بعقاب الآخرة، بل استهلت بإقامة حد الزنى، ليقال لك لن تحيا بطهارة ولن تحفظ عرضك إلا بإقامة حدود الله.

❍فإن قيل: لماذا بدأ بذكر عذاب الحد قبل التخويف بعذاب الآخرة؟

❁فالجواب: الفاحشة إذا فارت في القلب طغت على نور العقل؛ فقلما يردعها تذكر الآخرة إلا عند عبادٍ لله مخلصين، بينما بأس الدنيا من الجلد والفضيحة وخوف نبذ المجتمع ينزع اللهبه مالا ينزع بالقرآن.

وكان الحد في أول الإسلام كما جاء في سورة النساء: (وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) [النساء:15]، واللاتي يزنين من نسائكم، فاستشهدوا -أيها الولاة والقضاة- عليهن أربعة رجال عدول من المسلمين، فإن شهدوا عليهن بذلك فاحبسوهن في البيوت حتى تنتهي حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهن طريقًا للخلاص من ذلك، ثم أنزل الله حد الزنا في سورة النور، فكان هذا هو السبيل الذي أشار إليه من قبل في آية النساء، وعن عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: (خُذُوا عنِّي، خُذُوا عنِّي؛ قد جَعَلَ اللهُ لهُنَّ سَبيلًا؛ البِكْرُ بالبِكْرِ: جَلْدُ مِئةٍ، ونَفيُ سَنةٍ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ: جَلْدُ مِئةٍ، والرَّجمُ). رواه مسلم

ويستثنى الزانية الأمة و(العبد)، فإنها تجلد نصف جلد الحرة، كما قال عز وجل: (فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ)[النساء:25].

وحد الثيب المحصن وهو من سبق له الوطء في نكاح صحيح الرجم، لقوله تعالى: (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، وهذه الآية كانت في سورة الأحزاب، منسوخة اللفظ باق حكمها، وقد ثبت الرجم بالسنة وثبت الجلد بالقرآن، والرجم ثابت في شرع من قبلنا ففي صحيح بخاري ذكر ان الرجم ثابت في التوراة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، إنَّ اليَهُودَ جَاؤُوا إلى رَسولِ اللَّهِ -ﷺ- ، فَذَكَرُوا له أنَّ رَجُلًا منهمْ وامْرَأَةً زَنَيَا، فَقالَ لهمْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ما تَجِدُونَ في التَّوْرَاةِ في شَأْنِ الرَّجْمِ فَقالوا: نَفْضَحُهُمْ ويُجْلَدُونَ، قالَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ إنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فأتَوْا بالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أحَدُهُمْ يَدَهُ علَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ ما قَبْلَهَا وما بَعْدَهَا، فَقالَ له

عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، قالوا: صَدَقَ يا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فأمَرَ بِهِما رَسولُ اللَّهِ -ﷺ- فَرُجِما فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي علَى المَرْأَةِ، يَقِيهَا الحِجَارَةَ". صحيح البخاري

وعن عمرو بن ميمون قال: (رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرَدَةٌ، قَدْ زَنَتْ، فَرَجَمُوهَا، فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ). صحيح البخاري.

❁وقصة ماعز والغامدية -رضي الله عنهما- اللذان جادا بنفسهما، وطلبا عذاب الدنيا لكيلا يذوقا عذاب الاخرة.

فقد رجم عليه -ﷺ- ماعزاً والغامدية رضي الله عنهما: روى أبو هريرة -رضي الله عنه-"جاءَ ماعِزُ بنُ مالِكٍ الأسْلَميُّ إلى رسولِ اللهِ -ﷺ-، فقال: يا رسولَ اللهِ، إنِّي قد زنَيتُ، فأعرَضَ عنه، ثم جاءه مِن شِقِّه الأيمَنِ، فقال: يا رسولَ اللهِ، إنِّي قد زنَيتُ. فأعرَضَ عنه، ثم جاءه مِن شِقِّه الأيسَرِ، فقال: يا رسولَ اللهِ، إنِّي قد زنَيتُ، فأعرَضَ عنه، ثم قال يا رسولَ اللهِ، إنِّي قد زنَيتُ، فقال له ذلك أربعَ مرَّاتٍ، فقال: انطَلِقوا به فارجُموه). رواه أحمد

إنها محاولات حقيقية من رسول الله -ﷺ- لدرء الحدِّ والتجاوز عن ماعز، بل إنه -ﷺ- في روايات أخرى التفت إلى قوم ماعز وسألهم: «أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا». فقالوا: ما نعلمه إلاَّ وَفِيَّ العقل من صالحينا فيما نُرَى وفي رواية أخرى حاول رسول الله -ﷺ- أن يجد له مخرجًا حتى بعد اعترافه بالزنا، فقال رسول الله -ﷺ- له: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ؟» قال: لا). بخاري

إن رسول الله -ﷺ- قال في نفسه لعلَّ ماعزًا لم يَزْنِ حقيقةً، فلعلَّه تأوَّل بعض أحاديث رسول الله -ﷺ- التي يُشير فيها أن العين إذا نظرت نظرًا مُحرَّمًا فهو نوع من الزنا، وكذلك اليد وباقي الأعضاء؛ وذلك مثل قوله -ﷺ-: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ؛ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ). بخاري

هذا ما يسمى الزنا الاصغر: فسماع الحرام والنظر الحرام واللمس الحرام كلها من مقدمات الزنا، وقد نهانا الله عنها في محكم التنزيل: "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" [الإسراء :32]، وقال أيضاً: "وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ" [الأنعام :151]

وكذلك ثبت أن رسول الله -ﷺ-أقام الحد على الغامدية التي زنت في عهده، ثم تابت توبة عظيمة شهد لها النبي -ﷺ-: (..... فقال عمرُ: يا رسولَ اللهِ، تُصلِّي عليها وقد زنت؟ قال: والَّذي نفسي بيدِه! لقد تابت توبةً، لو قُسِّمت بين سبعين من أهلِ المدينةِ لوسِعتهم، وهل وجدت أفضلَ من أن جادت بنفسِها" صحيح أبي داود

وهذا يدل على قبح فاحشة الزنى، وما يترتب عليه من آلام والأوجاع، نفسية وجسدية وفردية واجتماعية، والذل والانكسار والوصم بالعار، كان لا بد لهذا الجسد ان يذوق الألم كما ذاق السعادة متعدي على شرع الله.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» (رواه البخاري ومسلم)

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا". متفق عليه

وقد رتب الله عليه عقوبات شديدة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) [الفرقان:68-69]

وفي عذاب البرزخ الوعيد الشديد ،كما جاء في رؤيا النبي -ﷺ- التي قصها على الصحابة الكرام: "فانْطَلَقْنا، فأتَيْنا علَى مِثْلِ التَّنُّورِ - قالَ: فأحْسِبُ أنَّه كانَ يقولُ - فإذا فيه لَغَطٌ وأَصْواتٌ قالَ: فاطَّلَعْنا فِيهِ، فإذا فيه رِجالٌ ونِساءٌ عُراةٌ، وإذا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِن أسْفَلَ منهمْ، فإذا أتاهُمْ ذلكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا قالَ: قُلتُ لهما: ما هَؤُلاءِ، وفي آخر الحديث سأل عنهم -ﷺ- فقيل: وأَمَّا الرِّجَالُ والنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ في مِثْلِ بنَاءِ التَّنُّورِ، فإنَّهُمُ الزُّنَاةُ والزَّوَانِي". رواه البخاري.

وهذا عذابهم في القبور حتى تقوم الساعة، وقد حذر الله من الزنا بقوله سبحانه: "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" [الإسراء:32]

(وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ)

مُناسَبتُها لِمَا قَبْلَها: قال ابن عاشور: لَمَّا قال تعالى: فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وكان الجَلْدُ مُوجِعًا، وكان المباشِرُ له قد يَرِقُّ على المجلودِ مِن وَجَعِه؛ نُهِيَ المسلِمون أنْ تأخُذَهم رَأفةٌ بالزَّانيةِ والزَّاني، فيَترُكوا الحدَّ أو يَنقُصوه أو يُخفِّفوه؛ فقال تعالى:

(وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ) أي: ولا تأخُذْكم -أيُّها المؤمِنونَ- بالزَّانيةِ والزَّاني رِقَّةٌ في حُكمِ الله، تَمنعُكم مِن إقامةِ الحَدِّ عليهما على الوجهِ الذي أمَرَ به اللهُ تعالى. موسوعة التفسير

فالرأفة الممنوعة هي التي تؤدي إلى ترك الحد أو التهاون في تنفيذه، لأنه يؤذن بتفشي الفاحشة وذهاب الشرف والفضيلة، والعقوبات أدوية للناس والمجتمعات وان كانت مرة الطعم إلا إنها تشفي بإذن الله، حتى الجراحة للجسد على شدة ألمها ووجعها تبرئ من خطر قد يؤدي بحياته.

قال البقاعي: قولُه تعالى: بِهِمَا رَأْفَةٌ أي: لِينٌ، ولعلَّه عَبَّر بها إعلامًا بأنَّه لم يَنْهَ عن مُطلَقِ الرحمةِ؛ لأنَّ الرأفةَ أشدُّ الرحمةِ أو أرَقُّها، وتكونُ عن أسبابٍ مِن المرؤوفِ به، وكذا قولُه: فِي دِينِ اللَّهِ، أي: الذي شَرَعَه لكم المَلِكُ المحيطُ بصِفاتِ الكَمالِ؛ إشارةً إلى أنَّ الممنوعَ منه رحمةٌ تُؤدِّي إلى ترْكِ الحدِّ أو شيءٍ منه، أو التَّهاوُنِ به، أو الرِّضا عن مُنتهِكِه، لا رِقَّةُ القلبِ المطبوعُ عليها البشرُ.

قال ابن تيمية رحمه الله: قد نهانا اللهُ عزَّ وجلَّ أن تأخذَنا بالزُّناةِ رأفةٌ، بل نُقيم عليهم الحدَّ؛ فكيف بما هو دون ذلك من هَجرٍ وأدبٍ باطنٍ، ونهيٍ وتوبيخٍ وغيرِ ذلك؟! وبهذا يتبيَّنُ لك أنَّ العقوباتِ الشرعيَّةَ

كلّها أدويةٌ نافعةٌ يُصلِحُ اللهُ بها مرَضَ القلوبِ، وهي مِن رحمةِ اللهِ بعِبادِه، ورأفتِه بهمُ الدَّاخِلةِ في قَولِه تعالى: إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء: 107]؛ فمَن ترَك هذه الرحمةَ النافعةَ لرأفةٍ يَجِدُها بالمريضِ، فهو الذي أعان على عذابِه وهلاكِه، وإنْ كان لا يُريدُ إلا الخيرَ؛ إذ هو في ذلك جاهلٌ أحمقُ، كما يَفعلُه بعضُ النساءِ والرجالِ الجُهَّالِ بمرضاهم وبمَن يُرَبُّونه مِن أولادِهم وغِلمانِهم وغيرِهم، في ترْكِ تأديبِهم وعُقوبتِهم على ما يأتونه مِن الشرِّ، ويتركونَه مِن الخيرِ؛ رأفةً بهم؛ فيكونُ ذلك سببَ فَسادِهم وعداوتِهم وهلاكِهم. ومِن الناسِ مَن تأخذُه الرأفةُ بهم؛ لمشاركتِه لهم في ذلك المرضِ، وذَوقِه ما ذاقوه مِن قوَّةِ الشهوةِ وبُرودةِ القلبِ والدِّياثةِ؛ فيتركُ ما أمَر اللهُ به مِن العقوبةِ، وهو في ذلك مِن أظلَمِ الناس وأديَثِهم في حقِّ نفْسِه ونُظرائِه. ومنهم مَن تأخذُه الرأفةُ؛ لكونِ أحدِ الزانيَينِ مَحبوبًا له، فمَن لم يكن مُبغِضًا للفواحشِ، كارهًا لها ولأهلِها، ولا يَغضبُ عندَ رُؤيتِها وسماعِها؛ لم يكُنْ مريدًا للعقوبةِ عليها، إنَّ الرأفةَ والرحمةَ يُحِبُّهما اللهُ ما لم تكُنْ مضيعةً لدِينِ اللهِ.

(إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أي: إنْ كُنتُم -أيُّها المؤمنون- تُؤمِنونَ حقًّا باللهِ وبالبَعثِ يومَ القِيامةِ للجَزاءِ على الأعمالِ، ثوابًا أو عِقابًا، فأقيموا الحَدَّ على الزَّانِيَينِ كما أمرَكم اللهُ، ولا تَأخُذْكم بهما رأفةٌ في دِينِه. موسوعة التفسير

❍فيه تهييج وإلهاب على إقامة الحدود، وهو أسلوب معروف تستعمل في الحث على الفعل كما تقول للرجل: إن كنت رجلاً فافعل كذا. وذكر الله اليوم الآخر الذي هو يوم القيامة لتذكير ما فيه من العقاب في مقابل المسامحة في إقامة الحدود أو تعطيلها. سليمان اللهيميد

(وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أي: ولْيَحضُرْ جَلْدَ الزَّانِيَينِ جماعةٌ مِن المؤمنِينَ، تَخُفُّ وتُحيطُ بهما. موسوعة التفسير

الحكمة من حضور الطائفة:

أولاً: الإغلاظ والتوبيخ للزاني.

ثانياً: الإيقاظ والاتعاظ.

ثالثاً: ذكر بعضهم الدعاء له بالتوبة والرحمة.

قال ابنُ عطيةَ: (وقَولُه: وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ المقصَدُ بالآيةِ الإغلاظُ على الزُّناةِ، والتَّوبيخُ بحَضرةِ النَّاسِ، فلا خِلافَ أنَّ «الطَّائِفةَ» كُلَّما كَثُرَت فهو أليَقُ بامتِثالِ الأمرِ).

قال الرازي: فيه أنَّ الزِّنا حرامٌ، وهو مِن الكَبائرِ، ويدُلُّ عليه أنَّ اللهَ تعالى أوجبَ المئةَ فيها بكَمالِها، بخِلافِ حَدِّ القذفِ وشُربِ الخَمرِ، وشرَع فيه الرَّجْمَ، ونَهَى المؤمنينَ عن الرَّأفةِ بمَن ارتَكبَ هذِه الفاحشةَ، وأمَرَ بشهودِ الطائفةِ للتَّشهيرِ.

قال السعدي: أمَر تعالى أنْ يَحضُرَ عذابَ الزانيَينِ جماعةٌ مِن المؤمنِينَ؛ ليشتهرَ ويَحصُلَ بذلك الخزيُ، وليُشاهِدوا الحدَّ فِعلًا؛ فإنَّ مُشاهدَةَ أحكامِ الشرعِ بالفِعلِ ممَّا يَقْوَى بها العِلمُ، ويستقرُّ به الفَهمُ، ويكونُ أقربَ لإصابةِ الصوابِ؛ فلا يُزادُ فيه ولا يُنقَصُ.

قال ابن عاشور: ...وفيه فائدةٌ أخرى، وهي أنَّ مِن مقاصدِ الحدودِ مع عُقوبةِ الجاني: أنْ يَرتدِعَ غيرُه، وبحُضورِ طائفةٍ مِن المؤمنين يتَّعظُ به الحاضرونُ ويَزدَجِرون، ويَشيعُ الحديثُ فيه بنَقْلِ الحاضِرِ إلى الغائِبِ.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿3﴾

سَببُ النُّزولِ: عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((كان رجلٌ يُقالُ له: مَرْثَدُ ابنُ أبي مرثدٍ، وكان رجلًا يَحمِلُ الأسرى من مكَّةَ حتى يأتيَ بهم المدينةَ. قال: وكانت امرأةٌ بَغِيٌّ بمكةَ يُقالُ لها: عَناقُ، وكانت صديقةً له، وإنَّه كان وعَدَ رجلًا مِن أُسارى مكَّةَ يَحمِلُه. قال: فجئتُ حتى انتهيتُ إلى ظلِّ حائطٍ مِن حوائطِ مكَّةَ في ليلةٍ مُقمِرةٍ. قال: فجاءت عَناقُ فأبصرَت سوادَ ظلِّي بجنبِ الحائطِ، فلمَّا انتهَت إليَّ عرفَتْ، فقالت: مرثدٌ؟! فقلتُ: مَرثدٌ، قالت: مرحبًا وأهلًا، هلُمَّ فبِتْ عندَنا الليلةَ، قلتُ: يا عَناقُ، حرَّم اللهُ الزِّنا! قالت: يا أهلَ الخيامِ، هذا الرجلُ يحمِلُ أُسَراءَكم ، قال: فتَبِعني ثمانيةٌ وسلكتُ الخَندَمةَ، فانتهيتُ إلى كهفٍ أو غارٍ فدخلتُ، فجاؤوا حتى قاموا على رأسي فبالوا، فظلَّ بولُهم على رأسي، وأعماهم اللهُ عنِّي. قال: ثمَّ رجَعوا ورجعتُ إلى صاحبي فحمَلتُه، وكان رجلًا ثقيلًا، حتى انتهيتُ إلى الإذخِرِ ، ففككتُ عنه كَبْلَه ، فجعلتُ أحمِلُه ويُعْيِيني حتى قَدِمتُ المدينةَ، فأتيتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أنكِحُ عناقَ -مرتين-؟ فأمسك رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فلم يردَّ عليَّ شيئًا، حتَّى نزلت: الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: يا مَرْثَدُ، الزَّاني لا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ؛ فلا تَنْكِحْها)).

فهذه الرواية تفيد تحريم نكاح المؤمن للزانية ما لم تتب، ونكاح المؤمنة للزاني إذا لم يتب وهذه وحدها عقوبة اجتماعية أليمة كعقوبة الجلد أو أشد وقعا.

أراد الإسلام محاربة الشهوات الحيوانية التي لا تهدف إلى إقامة بيت، وإنشاء حياة مشتركة، وتنتهي بانتهاء الشهوة، إن الإسلام لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستقذرها; إنما ينظمها ويطهرها.

(الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أي: الزَّاني لا يَنْكِحُ إلَّا زَانيةً مِثلَه أو مُشرِكةً باللهِ، والزَّانيةُ لا يَنْكِحُهَا إلا زانٍ مِثلُها أو مُشرِكٌ باللهِ. موسوعة التفسير

أو بتعبير آخر: الزاني لا يطاوعه على زناه إلا زانية مثله أو مشركة لا ترى حرمة الزنا، والزانية لا يطاوعها على الزنا بها إلا زانٍ أو مشرك.

(وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أي: وحَرَّمَ اللهُ ذلك على المؤمنِينَ. موسوعة التفسير

ومعنى الآية: أن من اتصف بالزنا، من رجل أو امرأة، ولم يتب من ذلك، أن المقدم على نكاحه، مع تحريم الله لذلك، لا يخلو إما أن لا يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فذاك لا يكون إلا مشركا، وإما أن يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزناه، فإن هذا النكاح زنا، والناكح زان مسافح، فلو كان مؤمنا بالله حقا، لم يقدم على ذلك، وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزاني حتى يتوب.

فحرم الله ذلك، لما فيه من الشر العظيم، وفيه من قلة الغيرة، وإلحاق الأولاد، الذين ليسوا من الزوج، وكون الزاني لا يعفها بسبب اشتغاله بغيرها، مما بعضه كاف للتحريم وفي هذا دليل أن الزاني ليس مؤمناً، المنفيُّ هو كَمالَ الإيمانِ وليس أصْلَ الإيمانِ، كما قال النبي -ﷺ-: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ» فهو وإن لم يكن مشركا، فلا يطلق عليه اسم المدح، الذي هو الإيمان المطلق، لان الذين يرتكبون هذه الفعلة لا يرتكبونها وهم مؤمنون.

قال ابن تيمية: فعُلِمَ أنَّ الإيمانَ يَمنعُ مِن ذلك ويَزجُرُ؛ وأنَّ فاعلَه إمَّا مُشركٌ وإمَّا زانٍ؛ ليس مِن المؤمنين الذين يَمنعُهم إيمانُهم من ذلك؛ فإنَّ كمالَ الإيمانِ وحقيقتَه يمنعُ ذلك، فلا يَقَعُ إلَّا عندَ نوعِ ضَعفٍ في الإيمانِ، وفي الصَّحيحِ: ((لا يَزني الزَّاني حِين يَزني وهو مُؤمِنٌ))، فسَلَبه حقيقةَ الإيمانِ الَّتي بها يستحِقُّ حُصولَ الثَّوابِ والنَّجاةِ مِن العقابِ؛ وإنْ كانَ معَه أصلُ الإيمانِ الَّذي يُفارِقُ به الكفَّارَ، ويَخرُجُ به مِن النَّارِ.

قال ابن تيمية رحمه الله: لَمَّا أمَرَ الله تعالى بعُقوبةِ الزَّانيينِ حَرَّم مُناكحتَهما على المؤمنِينَ؛ هَجرًا لهما، ولِمَا معهما مِن الذُّنوبِ والسَّيِّئاتِ، كما قال تعالى: وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ [المدثر: 5]، وجعَل مُجالِسَ فاعِلِ ذلك المنكَرِ مِثلَه بقولِه تعالى: إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ [النساء: 140]، وهو زَوجٌ له، وقد قال تعالى: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ [الصافات: 22]، أي: عُشراءَهم وقُرناءَهم، وأشباهَهم ونُظراءَهم؛ ولهذا يُقال: المستمِعُ شريكُ المغتابِ، فإذا كانَ هذا في المجالسةِ والعِشْرةِ العارضةِ حينَ فِعلِهم للمنكَرِ يَكونُ مُجالِسُهم مِثْلًا لهم، فكيفَ بالعِشرةِ الدَّائمةِ.

قال بكر أبو زيد في كتابه حراسة الفضيلة: تأمَّلْ هذا السِّرَّ العظيمَ مِن أسرارِ التَّنزيلِ، وإعجازِ القُرآنِ الكريمِ، ذلك أنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى لَمَّا ذكَرَ في فاتحةِ سُورةِ النور شناعةَ جَريمةِ الزِّنا، وتحريمَه تحريمًا غائيًّا؛ ذكَرَ سُبحانَه مِن فاتحتِها إلى تمامِ ثلاثٍ وثلاثينَ آيةً أربَعَ عَشْرةَ وسيلةً وقائيَّةً، تحجُبُ هذه الفاحِشةَ، وتقاومُ وقوعَها في مجتَمَعِ الطُّهرِ والعَفافِ؛ جماعةِ المسلمينَ، وهي:

الأولى: تطهيرُ الزُّناةِ والزَّواني بالعُقوبةِ الحَدِّيَّةِ.

الثانية: التطهُّرُ باجتنابِ نِكاحِ الزانيةِ وإنكاحِ الزَّواني، إلَّا بعد التَّوبةِ ومَعرفةِ الصِّدقِ فيها.

الثالثة: تطهيرُ الألسنةِ عن رميِ النَّاسِ بفاحشةِ الزِّنا، ومَن قال ولا بيِّنةَ فيُحَدُّ حَدَّ القَذفِ.

الرابعة: تطهيرُ لسانِ الزَّوجِ عن رَميِ زَوجتِه بالزِّنا ولا بَيِّنةَ، وإلَّا فاللِّعانُ.

الخامسة: تطهيرُ النُّفوسِ وحَجبُ القلوبِ عن ظَنِّ السُّوءِ بمُسلمٍ بفعلِ الفاحِشةِ.

السادسة: تطهيرُ الإرادةِ وحَجبُها عن محبَّةِ إشاعةِ الفاحِشةِ في المسلمينَ.

السابعة: الوِقايةُ العامَّةُ بتطهيرِ النَّفْسِ مِن الوساوِسِ والخَطَراتِ التي هي أُولى خُطواتِ الشَّيطانِ في نُفوسِ المؤمِنينَ؛ لِيُوقِعَهم في الفاحشةِ، وهذا غايةٌ في الوقايةِ مِن الفاحِشةِ.

الثامنة: مشروعيَّةُ الاستِئذانِ عندَ إرادةِ دُخولِ البَيتِ؛ حتى لا يقَعَ النَّظَرُ على العَوْراتِ.

التاسعة والعاشرة: تطهيرُ العَينِ مِن النَّظَرِ المحَرَّمِ إلى المرأةِ الأجنبيَّةِ، أو منها إلى الرجُلِ الأجنبيِّ عنها.

الحاديةَ عشرةَ: تحريمُ إبداءِ المرأةِ زينتَها للأجانِبِ عنها.

الثانيةَ عشرةَ: مَنعُ ما يُحَرِّكُ الرَّجُلَ ويُثيرُه، كضَربِ المرأةِ برِجْلِها؛ لِيُسمَعَ صَوتُ خَلخالِها، فيَجلِبَ ذَوي النُّفوسِ المريضةِ إليها.

الثالثةَ عشرةَ والرابعةَ عشرةَ: الأمرُ بالاستعفافِ لِمَن لا يجِدُ ما يستطيعُ به الزَّواجَ، وفعلِ الأسبابِ.

وكم من مُذنبٍ طالَ أرَقُه، واشتدَّ قلقُه، وعظُمَ كمَدُه، واكتوَى كبِدُه، تعتصِرُه كآبةُ الخطيئة، يتلمَّسُ نسيمَ رجاء، ويبحثُ عن إشراقة أمل، ويتطلَّعُ إلى صُبحٍ قريب يُشرِقُ بنور التوبة والاستقامة والهداية والإنابة، ليذهب معها اليأسُ والقنوط، وتنجلِيَ بها سحائبُ التعاسة والخوف والهلَع، والتشرُّد والضياعُ.

وإن الشعور بوطأة الخطيئة، والإحساس بألم الجريرة، والتوجُّع للعثرة، والندم على سالف المعصية، والتأسُّف على التفريط، والاعتراف بالذنب، هو سبيل التصحيح والمراجعة، وطريقُ العودة والأَوبة، وأما ركن التوبة الأعظم، وشرطُها المقدَّم، فهو الإقلاعُ عن المعصية، والنُّزوع عن الخطيئة، ولا توبة إلا بفعل المأمور، واجتناب المحظور، والتخلُّص من المظالم، وإبراء الذمَّة من حقوق الآخرين.

فادلفوا إلى باب التوبة والإنابة، وتخلَّصوا من كل غَدرة، وأقلِعوا عن كل فَجرة، (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور: 31].

التوبةُ خضوعٌ وانكسار، وتذلُّل واستغفار، واستقالةٌ واعتذار، وابتعادٌ عن دواعي المعصية، ونوازع الشر، ومجالس الفتنة، وسُبل الفساد، وأصحاب السوء، وقرناء الهوى، ومُثيرات الشر في النفوس.

التوبةُ صفحةٌ بيضاء، وصفاءٌ ونقاء، وخوفٌ وحياء، ودعاءٌ ونداء، وخشيةٌ وبكاء، وخجلٌ ووَجَل، ورجوعٌ ونُزوع، وإنابةٌ وتدارُك، بابُها مفتوح، وخيرُها ممنوح، ما لم تُغرغِر الروح

يا له من فضلٍ عظيم، وعطاءٍ جسيمٍ من ربٍّ كريمٍ وخالقٍ رحيم، أكرمنا بعفوه، وغشّانا بحلمه ومغفرته، وجلَّلنا بسِتره، وفتح لنا باب توبته، يعفو ويصفح، ويتلطَّفُ ويسمح، وبتوبة عبده يفرَح.